

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

إعداد
بشير سبرو

لوحة

دار الفقراء
للنشر والتوزيع

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ



دار الفرقان للنشر والتوزيع - ٢٠٢٠/١٤٤١

ردمك : ١-٣٥-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨

الإيداع القانوني: السادس الثاني، ٢٠٢٠

Dar Al-furquan Edition. 2018

ISBN: 978-9931-616-35-1

Dépôt Légal: 2^{eme} semestre. 2020

ISBN 978-9931-616-35-1



حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤١ م - ٢٠٢٠ هـ

الصف والإخراج الفني
بدار الفرقان

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسين
باب الوادي - بجوار مسجد السنة - الجزائر

جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠

dar.alfurquan@gmail.com

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

إعداد

بشير شبرو

ذِكْرُ الْفَرَقِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْبِ







﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

الترغيب في الزهد في الدنيا والترهيب من حبها والتكاثر فيها والتنافس

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال الله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مُمْصَفًّاءً ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

والآيات في هذا كثيرة..





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُؤَثِّرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِثَارِ". [مدارج السالكين (٢ / ١٢)].

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمته الله: "﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ يقول: وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها، إلا متاع الغرور، يقول: إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختيار، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم، ثم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكآره، يقول تعالى ذكره: ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها، فإنما أنتم منها في غرور تمتعون، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون. ثم قال: والغرور مصدر من قول القائل: غرّني فلان فهو يغرّني غروراً بضم الغين، وأمّا إذا فتحت الغين من الغرور، فهو صفة للشيطان الغرور، الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته.

وقد حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عبدة وعبد الرحيم قالوا: حدثنا محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وقرأوا إن شئتم: وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال الإمام المفسر القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾: أي تغرّ المؤمن وتخدعه فيظن طول البقاء وهي فانية، والمتاع ما يتمتع به ويتتفع، كالفأس والقدر والقصعة ثم يزول ولا يبقى ملكه، قاله أكثر المفسرين، قال الحسن: كخضرة النبات، ولعب البنات لا حاصل له، وقال قتادة: هي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها، فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع، ولقد أحسن من قال:

هي الدار دار الأذى والقذى

ودار الفناء ودار الغيـر

فلونلتها بحذافيرها

لمت ولم تقض منها الوطر

أيا من يؤمل طول الخلود





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

وطول الخلود عليه ضرر

إذا أنت شبت وبان الشباب

فلا خير في العيش بعد الكبر

قال الإمام المفسر الكبير ابن كثير رحمه الله: "وقوله

تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾: تصغير لشأن

الدنيا، وتحقير لأمرها، وأنها دنيئة فانية، قليلة زائلة، كما

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ

وَأَبْقَى﴾ (١٧). وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٠). وفي

الحديث: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم

أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع إليه).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الْغُرُورُ قال: هي متاع، هي متاع متروكة أو شكت -والله الذي لا إله إلا هو- أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

أزهد الخلق في الدنيا ﷺ

يحثّ على الزّهد ويحذّر من الدنيا

عن عمرو بن عوفٍ الأنصاري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (أَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ؛ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ). [رواه البخاري ومسلم].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ؛ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ، وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْخَطَأَ؛ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّعَمُّدَ). [رواه أحمد، وابن حبان (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٥٦)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مُستخلفكم فيها،
فإنظروا كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء...) [رواه
مسلم].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
(اللهم اجعل رِزقَ آلِ مُحَمَّدٍ قوتًا، - وفي رواية - : كفافًا).
[رواه البخاري ومسلم، والترمذي، وابن ماجه].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد
أفلحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرِزْقَ كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللهُ بِمَا أَتَاهُ). [رواه مسلم
والترمذي، وابن ماجه].

(الكَفَافُ): الذي ليس فيه فضل عن الكفاية

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - لا أعلمه إلا رفعه - قال:
(صَلَحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَهَلَاكُ آخِرِهَا



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

بالبخل والامل). [رواه الطبراني (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢١٥)].

عن إبراهيم بن أدهم قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! دُلّني على عَمَلٍ يُحِبُّني الله عليه وَيُحِبُّني الناسُ عليه؟ فقال: (أَمَّا الْعَمَلُ الَّذِي يُحِبُّكَ اللهُ عَلَيْهِ فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْعَمَلُ الَّذِي يُحِبُّكَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ مَا فِي يَدَيْكَ مِنَ الْحُطَامِ). [رواه ابن أبي الدنيا (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢١٤)].

عن سهل بن سعد الساعديّ رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! دُلّني على عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فقال: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ). [رواه ابن ماجه (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢١٣)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ). [رواه الترمذي وابن حبان (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٥٣)].

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بَأْفَسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ). [رواه الترمذي وابن حبان (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٥٠)].

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ؛ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى). [رواه أحمد وابن حبان والحاكم (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٢٦)].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال جلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

على المنبر وجلسنا حوله فقال: (إن مما أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها). [رواه البخاري ومسلم].

عن عوف بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، فقال: (الفقر تخافون أو العوز أم تهملكم الدنيا؛ فإن الله فاتح عليكم فارس والروم، وتصب عليكم الدنيا صبًّا، حتى لا يزيغكم بعدي إن أزاغكم إلا هي). [رواه الإمام أحمد والطبراني، والبزار (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٥٦)].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا، ولا يزدادون من الله إلا بُعدًا). [رواه الحاكم وغيره (السلسلة الصحيحة: ١٥١٠)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كانت الدنيا همّه، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة). [رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٠٤، ٩٤٩، ٩٥٠)].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم: (مَنْ جَعَلَ الْهَمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهَمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ). [رواه ابن ماجه (صحيح ابن ماجه: ٢٠٩)].

عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَإِنْ قَزَحَهُ وَمَلَّحَهُ فَانْظُرْ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ). [رواه ابن حبان وغيره (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٤٣)].



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب). [رواه أحمد وغيره (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٨١٣)].



﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



الزهد شرط لتحقيق الإخلاص

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

"ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد ولا الزهد إلا

بعد التقوى والتقوى متابعة الأمر والنهي". [مجموع

الفتاوى: (١ / ٩٤)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

**الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق
إلا في عسكر الموتى نادما بين الخاسرين**

أثر مؤثر من آثار السلف

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن رجب **رحمته الله**:

وما أحسن قول يحيى بن معاذ: الدنيا خمرُ الشيطان من
سَكِرَ منها لم يُفِقْ إلا في عسكر الموتى نادماً مع
الخاسرين. [جامع العلوم والحكم (ص ٥٠٩)].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم **رحمته الله**:

▪ جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على
كفرهم وهلاكهم حبُّ الدنيا...
▪ فكل خطيئة في العالم أصلها حبُّ الدنيا...





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

- فحب الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار بأهلها،
والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها...
- والدنيا تسحر العقول أعظم سحر...
- والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر
بكثير...

- وصاحب هذا السكر لا يفيق منه إلا في ظلمة اللحد،
ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من
السكر، وأنه أشدّ من سكر الخمر، والدنيا تسحر العقول
أعظم سحر...

- قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان من
سكر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادما بين
الخاسرين...". [عدة الصابرين: (١٨٥ / ١٨٦)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحبّ دنياه أضّرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضّرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى). [صحيح لغيره، صحيح الترغيب: (٣٢٤٧)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فعشقتها (الدنيا) ومحبتها تضرّ بالآخرة، ولا بدّ كما أنّ محبة الآخرة تضرّ بالدنيا، وفي هذا الحديث قد روي مرفوعا (من أحبّ دنياه أضّرّ بآخرته ومن أحبّ آخرته أضّر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى). [عدة الصابرين (ص: ١٨٩)].

قال الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأقل ما في حبها (الدنيا) أنه يلهي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لهى القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد، ومن فقهه (الشيطان) في الشر، أنه يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل فيها





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الخير، وقد تعبد لها قلبه، فأين يقع ما يفعله من البر مع تعبده لها، وقد لعنه رسول الله ودعا عليه فقال: (لعن عبد الدينار والدرهم) وقال: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم إن أعطى رضي وإن منع سخط) وهذا تفسير منه وبيان لعبوديتها". [عدة الصابرين (ص: ١٨٦)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتت الشمل وتفرق القلوب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب، على أن أكثرهم لا يزال يشكو أو يصرخ منه. وفي الترمذي أيضاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ابْنُ آدَمَ، تَفَرَّغْ لعبادتي أَمْلاً صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا، وَلَمْ أُسَدِّ فَقْرَكَ". [إغاثة اللهفان (٣٦/١)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: همّ لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي، وذلك أنّ محبتها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: (لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا بُتْغَى لَهُمَا ثَالِثًا)". [إغاثة اللهفان (٣٧/١)].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمته الله: "مثالها (الدنيا) مثال إناء مملوء عسلا، رآه الذباب فاقبل نحوه، فبعضه قعد على حافة الإناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم طار، وبعضه حملة الشره على أن رمى بنفسه في لجة الإناء ووسطه، فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

به إلا قليلا حتى هلك في وسطه..". [عدة الصابرين (ص: ٢٠١)].

قال **رحمته الله**: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). [رواه مسلم].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم **رحمته الله**: "(الدنيا سجن المؤمن) فيه تفسيران صحيحان: [أحدهما]: أن المؤمن قيده إيمانه عن المحظورات، والكافر مُطلق التصرف.

[الثاني]: أن ذلك باعتبار العواقب؛ فالمؤمن لو كان أنعم الناس؛ فذلك بالإضافة إلى ماله في الجنة: كالسجن، والكافر عكسه؛ فإنه لو كان أشد الناس بُؤساً؛ فذلك بالنسبة إلى النار: جتته". [بدائع الفوائد (٣ / ١٥٠)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللَّهِ لَغِيْرَ اللَّهِ عُذِّبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمهُ الله: "وقد قضى

الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع:

- أَنْ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَاهُ عُدِّبَ بِهِ وَلَا بَدَ،
 - وَأَنْ مَنْ خَافَ غَيْرَهُ سُلِّطَ عَلَيْهِ،
 - وَأَنْ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ كَانَ شُؤْمًا عَلَيْهِ،
 - وَمَنْ أَثَرَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ لَمْ يَبَارِكْ فِيهِ،
 - وَمَنْ أَرْضَى غَيْرَهُ بِسَخْطِهِ أَسَخَطَهُ عَلَيْهِ وَلَا بَدَ".
- [الوابل الصيب (ص: ١٥)].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمهُ الله: "(إِنَّ مَنْ





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

أحبّ شيئاً سوى الله تعالى ولم تكن محبته له لله تعالى ولا
لكونه معيناً له على طاعة الله تعالى عُدّب به في الدنيا قبل
يوم القيامة، كما قيل:

أنت القتل بكلّ من أحبّته

فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فإذا كان يوم المعاد ولّى الحَكَمَ العَدْلُ - سبحانه - كل
محب ما كان يُحبه في الدنيا، فكان معه: إما منعماً أو معذباً،
ولهذا يمثل لصاحب المال ماله شجاعاً أقرع يأخذ
بلهزمته؛ يعني: شذقيه، يقول: أنا مالك أنا كنزك، ويصفح
له صفائح من نار يُكوي بها جبينه وجنبه وظهره، وكذلك
عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله
تعالى جمع الله بينهما في النار، وعُدّب كلّ منهما بصاحبه؛



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. [إغاثة اللهفان (١ / ٣٨)].

إلى أن قال: والمقصود: أن من أحب شيئاً سوى الله - عزَّ وجلَّ - فالضرر حاصل له بمحبوبه: إن وجدته، وإن فقدته، فإنه إن فقدته عذب بفواته، وتألم على قدر تعلق قلبه به، وإن وجدته، كان ما يحصل له من الألم قبل حصوله ومن النكد في حال حصوله، ومن الحسرة عليه بعد فوته - أضعاف أضعاف ما في حصوله له من اللذة.

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ

وإنَّ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ

تَرَاهُ بَاكِئًا فِي كُلِّ حَالٍ

مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ

فِيكَبِّي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ



﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا حَذَرَ الْفِرَاقِ

فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمته الله: "طالبُ الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيده، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقي ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاءه وأطيبه.

ومتى لم يصبر على هذين الحبيين وفر منهما إلى



﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس. وبالله التوفيق". [فوائد الفوائد (ص: ٤٢٧)].



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قطراتك قد تجتمع فتصبح سيلاً يُغرقك

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمته الله: "يُحكى أن بعض أصحاب الماشية كان يُشوّب اللبن وبيعه على أنه خالص، فأرسل الله عليه سيلاً؛ فذهب بالغنم، فجعل يعجب..! فأُتي في منامه فقيل له: أتعجب من أخذ السيل غنمك؟؛ إنه تلك القطرات التي شُبت بها اللبن؛ اجتمعت وصارت سيلاً.

▪ فقس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك، وفي غيرك، تعلم حينئذ أن الله قائم بالقسط، وأنه قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه لا يظلم مثقال ذرة". [مفتاح دار السعادة (٢٥٣/١)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

﴿أَلْهَبَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾

عن عبد الله بن الشَّخِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَبَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، قال: (يقول ابن آدم مَالِي، مَالِي، قال: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتُ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟). [رواه مسلم (٢٩٥٨)].

قال الإمام المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر". [تفسير ابن كثير (٥٤٦/٤)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

مختارات من كلام العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ حول هذه السورة ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

" أخبر -سبحانه وتعالى- أَنَّ التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدار الآخرة حتى حضر الموت، فزاروا المقابر ولم يفيقوا من رقدة إلهاء التكاثر.

ولم يعين -سبحانه- المتكاثر به، بل ترك ذكره، إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء، لا المتكاثر به كما يقال: شغلك اللعب واللهو، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به، وإما إرادة الإطلاق، وهو كل ما يكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا، من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء، أو غراس، أو علم لا يبتغي به وجه الله، أو عمل لا يقربه إلى





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الله. فكل هذا من التكاثر الملهي عن الله والدار الآخر".
[التفسير القيم للإمام ابن القيم (ص: ٥١٣ / ٥١٤)].

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ قيل:

تأكيد لحصول العلم كقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبا: ٥].

وقيل: ليس تأكيداً، بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت. والعلم الثاني في القبر هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

■ ويدل على صحة هذا القول: عدة أوجه:

١/ أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة.

٢/ توسط (ثم) بين العلمين، وهي مؤذنة بتراخي مل بين





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

المرتبتين زماناً وخطراً.

٣/ أن هذا القول مطابق للواقع فإنّ المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علماً يقينياً، هو فوق العلم الأول.

٤/ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر.

٥/ أن هذا مطابق لما بعده من قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ثم لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين:

إطلاق الأولى، وتقييد الثانية بعين اليقين، وتقديم الأولى وتراخي الثانية عنها. (ص: ٥١٥ / ٥١٦).

▪ ثم ختم السورة بالإخبار المؤكد: ..لام التأكيد،





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

والنون الثقيلة عن سؤال النعيم. فكل أحد يسأل عن نعيمه

الذي كان فيه في الدنيا: هل ناله من حلال ووجهه أم لا؟

فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالاً آخر: هل شكر

الله تعالى عليه، فاستعان به على طاعته أم لا؟

■ فالأول: سؤال عن سبب استخراجه.

■ والثاني: عن محل صرفه. (ص: ٥١٦).

■ وقد زعم طائفة من المفسرين: أن هذا الخطاب

خاص بالكفار، وأنهم هم المسؤولون عن النعيم. وذكروا

ذلك عن الحسن ومقاتل. واختار الواحدي ذلك.

■ (قلت: ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة، ولا في

أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر

اللفظ، وصريح السنة والاعتبار: يدل على عموم الخطاب



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر. فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك).

فالصحابة فهموا العموم، والأحاديث صريحة في التعميم. والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم. (ص: ٥١٨ / ٥١٩).

في (صحيح مسلم): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ)؟ قالوا: الجوع يا رسول الله... فلما أن شبعوا ورؤوا قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لأبي بكر وعمر: (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم).

قال العلامة الإمام ابن القيم رحمته الله بعد ذكره لهذا





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الحديث: [فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب، وأنه غير مختص بالكفار].

قوله: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف، وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله. (ص: ٥٢٠).

ولا يخفى أنّ مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها، وما تضمنته من تحذير الإنسان عن التكاثر الملهي، وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار، ولا يليق ذلك بها، ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها. والله أعلم.

وتأمل ما في هذا العتاب الموجه لمن استمر على الهاء التكاثر له مدة حياته كلها، إلى أن زار القبور، ولم يستيقظ





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

من نوم الإلهاء، بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات.

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتبين لك أن العموم مقصود.

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا، على اختلاف أجناسها وأنواعها. (ص: ٥٢٢).

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره، كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة، ولم تضرهم إذ لم يتكاثروا بها.

وكل من كاثر إنسانا في دنياه، أو جاهه، أو غير ذلك شغلته مكائثرته عن مكائثرة أهل الآخرة.





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو، وتصير مفلحة. فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك، وينافسها في هذه المكاثرة، ويسابقها إليها.

فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد. (ص: ٥٢٢).
ومن تأمل حسن موقع (كلا) في هذا الموضع، فإنها تضمنت ردعا لهم، وزجرا عن التكاثر، ونفيا وإبطالا لما يؤملونه، من نفع التكاثر لهم، وعزتهم وكمالهم به، فتضمنت اللفظة نهيا ونفيا، وأخبرهم سبحانه أنهم لا بد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علما بعد علم، وأنهم لا بد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا التي ألتهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية، وأنه سبحانه لا بد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم:





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

من أين استخرجوها؟ وفيهم صرفوها؟ (ص: ٥٢٣).

وختم العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله تفسيره لهذه
السورة بقوله: "فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها
وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً
في الآخرة، وتزهيداً في الدنيا على غاية اختصارها، وجزالة
ألفاظها وحسن نظمها. فتبارك من تكلم بها حقاً وبلغها
رسوله عنه وحياً. (ص: ٥٢٣).





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨)

في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم أو ليلة فإذا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة). قالوا: الجوع يا رسول الله. قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما! قوما). فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته. فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: (أين فلان) قالت: ذهب يستعذب لنا الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال:





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كلوا. وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ: (إياك والحلوب) فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورؤوا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة! أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم).

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمته الله: "أي: ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، ومن أين وصلتكم إليه، وفيه أصبتموه، وماذا عملتم به؟". [تفسير الطبري: (٣٠/٣٦)].

قال الإمام المفسر ابن كثير رحمته الله: "أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته". [تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٦)].

قال العلامة الإمام عبد الرحمن السعدي رحمته الله في تفسيره: "﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل. أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على المعاصي، فيعاقبكم على ذلك، قال الله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

والنعيم الذي نسأل عنه، اختلف في تفسيره.. لكن الصحيح من القول في ذلك هو أن النعيم المذكور في الآية





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

عام يشمل كل ما يتنعم الإنسان به، فيدخل فيه كل أصناف النعم من طعام وشراب وملبس وسكن وصحة وعافية وحواس وغير ذلك".

قال الإمام العلامة الطبري في تفسيره (٣٧٠ / ٣٠):
"والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض. حتى الماء الذي قيل عنه بأنه: [أهون موجود وأعز مفقود]، هو نعمة يسأل عنها العبد يوم القيامة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..".

قال رسول الله ﷺ: (إنّ أوّل ما يسأل عنه يوم القيامة





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

يعني العبد من النّعيم أن يقال له: ألم نُصَحِّ لك جسمك
وَنُزَوِّيكَ من الماء البارد). [أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)،
وصححه الألباني في صحيح الترمذي. (موقع الإسلام سؤال
وجواب بتصرف واختصار)].



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

خيرُ الرِّزْقِ الكَفاف

عن الحسن رضي الله عنه عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير الرزق الكفاف). [أخرجه وكيع في (الزهد)، السلسلة الصحيحة (٤ / ٤٥٠) - رقم الحديث (١٨٣٤)].

■ ما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى ■

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى...). [رواه أحمد وابن حبان، والحاكم. السلسلة الصحيحة (٤٤٣)].

عن سلمة بن عبيد الله بن محصن رضي الله عنه عن أبيه قال:





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

قال النبي ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها). [رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، السلسلة الصحيحة (٢٣١٨)].

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللهُ في [فيض القدير (٦/٦٨)]:
"من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتقر عن ذكره.

إذا ما كساك الدهر ثوبَ مصحَّةٍ

ولم يخل من قوت يُحَلَّى وَيَعْذُبُ





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

فلا تغبطن المترفين فإنه

على حسب ما يعطيهم الدهر يسلب

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه).

[رواه مسلم والترمذي، وأحمد، والبيهقي].

قال العلامة الحافظ ابن حجر رحمته الله: "ومعنى الحديث:

أنّ من اتصف بتلك الصفات حصل على مطلوبه، وظفر

بمرغوبه في الدنيا والآخرة". [فتح الباري (١١ / ٢٧٥)].

قال العلامة المناوي رحمته الله: "رُزق كفافاً، وقنّعه الله

بالكفاف، فلم يطلب الزيادة". [فيض القدير (٤ / ٥٠٨)].

قال العلامة المباركفوري رحمته الله: "(كفافاً). أي: ما

يكف من الحاجات، ويدفع الضرورات". [تحفة الأحوزي

(٤ / ٥٠٨). (موقع الدرر السنية)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا). [البخاري ومسلم وأحمد].

قال العلامة المحقق مشهور حسن -حفظه الله-:
"فهذا الذي أحبه صلى الله عليه وسلم لمحبيه ". [السر المكتوم في الفرق بين
المالين المحمود والمذموم (ص: ١٢٠)].

قال العلامة الإمام الألباني رحمته الله: "فائدة الحديث: فيه
وفي الذي قبله دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من
الدنيا والزهد فيما فوق ذلك، رغبة في توفر نعيم الآخرة،
وإيثارا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي للأمة أن تقتدي به
صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإن
القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة
سلامة من آفات الغنى والفقر جميعا. كذا في [فتح الباري





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

[(١١ / ٢٥١ - ٢٥٢)].

قلت: ومما لا ريب فيه أن الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فينبغي للعاقل أن يحرص على تحقيق الوضع الوسط المناسب له، بحيث لا ترهقه الفاقة، ولا يسعى وراء الفضول الذي يوصله إلى التبسط والترفيه، فإنه في هذه الحال قلما يسلم من عواقب جمع المال، لاسيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه مفاته، وتيسرت على الأغنياء سبله. أعاذنا الله تعالى من ذلك، ورزقنا الكفاف من العيش". [سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها... رقم الحديث (١٣٠)].

قال العلامة الإمام ابن عبد البر رحمته الله: "إن الزهد في الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها أفضل من الرغبة في حلالها، وهذا ما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين قديما





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

وحديثاً.

▪ والآثار عن السلف والصّحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصّبر على الدنيا والزّهد فيها وفضل القناعة والرضا بالكفاف والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذي يلهي ويطغي أكثر من أن يحيط بها كتاب أو يشتمل عليها باب، والذين زوى الله عز وجل عنهم الدنيا من الصحابة أكثر من الذين فتحها عليهم أضعافاً مضاعفة.

▪ التقلل من الدّنيا والاقتصاد فيها والرّضا بالكفاف منها والاقتصار على ما يكفي ويغني عن الناس - أفضل من الاستكثار منها والرّغبة فيها، وأقرب إلى السّلامة". [جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٢٥، ٧٢٧)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما نفس وجود





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

السلطان والمال الذي يبتغي به وجه الله والقيام بالحق والدار الآخرة، ويستعان به على طاعة الله، ولا يفتن القلب عن محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، كما كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، ولا يصد عنه ذكر الله، فهذا من أكبر نعم الله - تعالى - على عبده إذا كان كذلك. ولكن قل أن تجد ذا سلطان أو مالٍ إلا وهو مبطأ مثبط عن طاعة الله ومحبته، متبع هواه فيما آتاه الله، وفيه نكول حال الحرب والقتال في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهذه الخصال يكتسب المهانة والذم دنيا وأخرى". [مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٤٣ - ١٤٤)].

وقال أيضاً رحمه الله: "فالشرف والمال لا يحمد مطلقاً ولا يذم مطلقاً، بل يحمد منه ما أعان على طاعة الله، وقد يكون ذلك واجباً، وهو ما لا بد منه في فعل الواجبات، وقد





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

يكون مستحباً، وإنما يحمد إذا كان بهذه النية، ويذم ما استعين به على معصية الله أو صد عن الواجبات، فهذا محرم. وينتقص منه ما شغل عن المستحبات وأوقع في المكروهات. والله أعلم". [مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٤٤)].

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله: "هذه الأحاديث مخرّجة في الصحاح، وهي على خلاف ما تعتقده الصوفية من أن إكثار المال حجاب وعقوبة، وأن حبسه ينافي التوكل، ولا ينكر أنه يخاف من فتنه، وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك، وأن جمعه من وجهه ليعز، وأن سلامة القلب من الافتتان به تقل، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر، فلهذا خيف فتنه.

فأما كسب المال، فإن من اقتصر على كسب البُلغة من





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

حلّها، فذلك أمر لا بدّ منه، وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نُظِرَ في مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة، فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته، وادّخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التوسعة على الإخوان، وإغناء الفقراء، وفعل المصالح، أُثِيبَ على قصده، وكان جمعه بهذه النية، أفضل من كثير من الطاعات.

وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة في جمع المال سليمة، لحسن مقاصدهم بجمعه، فحرصوا عليه، وسألوا زيادته". [تلبس إبليس (ص: ١٧٣)].



﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



معنى الزهد في الدنيا

- الزهد هو انصراف الرغبة عن الدنيا لحقارتها والإقبال على الآخرة والرغبة فيها لنفاساتها..
- قال الإمام أحمد: "الزهد في الدنيا قصر الأمل".
- وقال سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العبا".
- وقال سفيان ابن عيينة: "الزهد في الدنيا الصبر وارتقاب الموت".
- قال الحسن البصري: "ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك".





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

▪ وقال إبراهيم ابن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: "الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد".

▪ وقال أبو سليمان الداراني: "الزهد: ترك ما يشغل عن الله".

▪ ولا شك أن الزهد يشمل هذه التعريفات جميعاً جميعاً، ولعل أجمع تعريف للزهد هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: "الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة"، وهذا يشمل ترك ما يضر، وترك ما لا ينفع ولا يضر". [فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب لمحمد نصر الدين محمد عويضة (١/ ١١٩)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة والورع: ترك ما تخاف ضرره في





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الآخرة. وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها". [مدارج السالكين (١٢/٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "الزَّهْدُ المشروع: هو ترك الرِّغْبَةِ فيما لا ينفع في الدَّارِ الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أنَّ الورع المشروع: هو ترك ما قد يضرُّ في الدَّارِ الآخرة. وهو ترك المحرِّمات والشَّبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أَرَجَحَ منها، كالواجبات، فأما ما ينفع في الدَّارِ الآخرة، فالزَّهْدُ فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]. كما أنَّ الاشتغال بفضول المباحات، هو ضدُّ الزَّهْدِ المشروع، فإن اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرَّم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كان عاصيا، وإلا كان منقوصا عن درجة المقربين إلى
درجة المقتصدين". [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:
(١٠-٢١)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

متى يستحق العبد اسم الزهد

قال العلامة الإمام الربّاني ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "والذي أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة. وعلى هذا صَنَّفَ المتقدمون كتب الزهد. كـ (الزهد) لعبدالله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، ولغيرهم.

ومتعلقه ستة أشياء. لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها. وهي المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله". [مدارج السالكين (٢ / ١٣)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

حاجة العباد إلى الزهد

إنّ الزهد في الدنيا ليس من نافلة القول، بل هو أمر لازم لكل من أراد رضوان الله تعالى والفوز بجنته، ويكفي في فضيلته أنه اختيار نبينا محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمه الله: "إيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، أو منهما معاً.

▪ ولذا نبذها رسول الله وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولو صلوا منها إلى كل مرغوب،





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

ولكنهم علموا أنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف ينقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل قال النبي ﷺ: (مَالِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا كِرَاكِبٌ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) وَقَالَ: (مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ إِبْصِعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرَجِعَ). وَقَالَ خَالِقُهَا -سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يونس: ٢٤ / ٢٥].

▪ فَأَخْبَرَ عَنْ خِسة الدُّنْيَا وَزَهْدَ فِيهَا وَأَخْبَرَ عَنْ دَارِ

السَّلَامِ وَدَعَا إِلَيْهَا...". [الفوائد (ص: ٩٥)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كيف يستقيم الزهد في الدنيا؟

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

▪ النظر الأول: النظر في الدنيا، وسرعة زوالها وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص، والأنكاد، وآخر ذلك الزوال، والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

▪ النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولا بد، ودوامها، وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات، والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال - تعالى -: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧].

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة. فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل". [الفوائد (ص: ٩٤)].

وقال العلامة الإمام ابن القيم أيضا في كتابه طريق الهجرتين: "والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

▪ أحدها: علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر، وأنها

كما قال الله -تعالى- فيها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ

غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ

الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا

يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

وَضَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا

حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وقال -تعالى-: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم

مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وسماها -سبحانه- "متاع الغرور"، ونهى عن





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها وحذرنا من مصارعهم، وذم من رضي بها واطمأن إليها، وقال النبي ﷺ: (مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها).

وفي المسند عنه ﷺ حديثٌ معناه: (أن الله جعل طعام ابن آدم وما يخرج منه مثلاً للدنيا، فإنه وإن قزَّحه وملَّحه فليُنظر إلى ماذا يصير؟)، فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير، وقدر خسيس.

■ الثاني: علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدرًا وأجلَّ خطرًا وهي دارُ البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فليُنظر بم يرجع)، فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

زَغَلَ قِيلَ لَهُ: اطرحه فلك عوض مائة ألف دينار مثلاً، فألقاه من يده رجاء ذلك العِوض، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زُهدٌ فيها.

■ الثالث: معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له منها، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها، فإنه متى تيقن ذلك وثلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه، بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك، فهذه الأمور الثلاثة تُسَهِّلُ على العبد الزهد فيها، وتثبت قدمه في مقامه، والله الموفق لمن يشاء".

[طريق الهجرتين (١ / ٣٨٢)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

أقسام الزهد

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "وقد قال

الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

- الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.
- والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

▪ والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم

من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو

من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم

بالمحل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمته الله بإمامته في ثمانية





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

أشياء أحدها الزهد". [مدارج السالكين (٢ / ١٤)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم **رحمته الله**:

الزَّهْدُ أَقْسَامُ:

- زهد في الحرام: وهو فرض عين،
- وزهد في الشَّبهات: وهو بحسب مراتب الشَّبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا،
- وزهد في الفضول، وهو زهد فيما يعني من الكلام والنَّظر والسَّؤال واللقاء وغيره،
- وزهد في النَّاس،
- وزهد في النَّفس حيث تهون عليه نفسه في الله،
- وزهد جامع لذلك كله، وهو الزَّهد فيما سوى ما عند الله، وفي كلِّ ما يشغلك عن الله،





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

▪ وأفضل الزهد إخفاء الزهد،

▪ وأصعبه الزهد في الحظوظ. [الفوائد: (ص: ١١٨)].

وفصّل العلامة الإمام ابن القيم في أقسام الزهد وذلك

في كتابه طريق الهجرتين بقوله **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

الزهد على أربعة أقسام:

▪ أحدها: فرض على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام،

وهذا متى أَخْلَ به مسلم انعقد سبب العقاب، فلا بد من

وجود مسببه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده.

▪ الثاني: زهد مستحب، وهو على درجاتٍ في

الاستحباب بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه،

وفصول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة.

▪ الثالث: زهد الداخلين في هذا الشأن، وهم المشمرون





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

في السير إلى الله وهو نوعان:

١ - أحدهما: الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخليتها من اليد ولا إخراجها وقعوده صِفراً منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكُن قلبه، وإن كانت في يده، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك، وهذا كحال الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بزهده مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها.

ومن هذا الأثر الشهور: "ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال؛ ولكن الزهد في الدنيا أن تكون





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

بما في يد الله أوثق منك مما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك".

٢- النوع الثاني: الزهد في نفسك، وهو أصعب الأقسام وأشقُّها، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه، فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام لسوء مغبته وقبح ثمرته، وحمايةً لدينه وصيانةً لإيمانه، وإيثاراً للذة والنعيم على العذاب، وأنفة من مشاركة الفجار والفجرة، وحميةً من أن يستأثر لعدوه، ويسهل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات: علمه بما يفوته بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعيم المقيم.

ويسهل عليه زهده في الدنيا معرفته بما ورائها، وما يطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى، وأما الزهد في النفس





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

فهو ذبحها بغير سكين، وهو نوعان:

■ أحدهما: وسيلةٌ وبداية، وهو أن تميتها فلا يبقى لها

عندك من القدر شيء، فلا تغضب لها ولا ترضى لها ولا

تتصر لها ولا تنتقم لها، قد سَبَلت عِرْضَهَا ليوم فقرها

وفاقتها، فهي أهون عليك من أن تتصر لها أو تنتقم لها أو

تجيبها إذا دعتك أو تكرمها إذا عصتك أو تغضب لها إذا

ذُمَّت، بلى هي عندك أحسُّ مما قيل فيها، أو تُرَفِّهها عما فيه

حظُّك وفلاحك، وإن كان صعباً عليها، وهذا وإن كان

ذبحاً لها وإماتةً عن طباعها وأخلاقها، فهو عين حياتها

وصحتها، ولا حياة لها بدون هذا البته.

وهذه العقبة هي آخرُ عقبةٍ يشرف منها العبد على منازل

المقربين، وينحدر منها إلى وادي البقاء، ويشربُ من عين





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الحياة، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات، وتتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق، فيا قر عينها به، ويا نعيمها وسرورها بقربه، ويا بهجتها بالخلاص من عدوها، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها، وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب، فيا مفلس تأخر.

■ والنوع الثاني: غاية وكمال، وهو أن يبذلها

للمحبيب جملة، بحيث لا يستبقي منها شيئاً، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلق رغبة محبوبة به، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبة؟، فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه قد خرج عنها وسلمها لربه، فهو يبذلها له دائماً بتعرضٍ منه





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

لقبولها.

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مَبَادٍ ووسائل لهذه
المرتبة، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب، فمن رام
الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعنٍ متمنٍ كمن
رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سُلَّم، قال بعض السلف:
إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فمن ضيع الأصول
حرم الوصول". [طريق الهجرتين (١ / ٣٨٠ - ٣٨١)].





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الزهد الحقيقي في الدنيا

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "فإن الزهد زهد القلب، لا زهد الترك من اليد وسائر الأعضاء، فهو تخلي القلب عنها لا خلو اليد منها. وأما "التخلي بحلية الأنبياء والصديقين" فإنهم أهل الزهد في الدنيا حقاً، إذ هم مُشَمَّرُونَ إلى عِلْمٍ قد رُفِعَ لهم غيرها، فهم زاهدون، وإن كانوا لها مباشرين". [مدارج السالكين (٢ / ٢١)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخليتها من اليد ولا إخراجها وقعوده صِفراً منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكُن قلبه، وإن كانت في يده،





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك، وهذا كحال الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بزهده مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهدًا فيها.

ومن هذا الأثر المشهور: "ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال؛ ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك مما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك".
[طريق الهجرتين (١ / ٣٨١)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رحمته الله: "وليس المراد - من الزهد - رفضها - أي الدنيا - من الملك، فقد





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما،
ولهما من المال والملك والنساء مالهما.

وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع
نسوة.

وكان علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف،
والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم
من الأموال.

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه من الزهاد مع أنه كان من
أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم،

وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال
كثير، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان له رأس
مال يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء.





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾

ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره:
ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال،
ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك".
[مدارج السالكين (٢ / ١٣)].





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

عيش النبي ﷺ وأهل بيته

وتخليهم عن الدنيا وزهدهم فيها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ).

وفي رواية: قال أبو حازم: رأيتُ أبا هريرة يُشِيرُ بِإصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: (والذي نَفْسُ أَبِي هريرةَ بيده ما شَبَعَ نَبِيُّ الله عليه السلام [وأهلُه] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا). [رواه البخاري ومسلم].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسولُ الله عليه السلام يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ وَأَهْلُهُ طَاوِينَ، لَا يَجِدُونَ عِشَاءً، وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرَ خُبْزِهِمُ الشَّعِيرُ). [رواه الترمذي، صحيح الترغيب





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

والترهيب (٣٢٦٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله). [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية لمسلم: قالت: (لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين)
عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير). [رواه البخاري والترمذي].

(مصلية) أي: مشوية.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان يبقى على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير قليل ولا كثير). [رواه الطبراني]. وفي





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

رواية له: (ما رُفعت مائدة رسول الله ﷺ من بين يدي رسول الله ﷺ وعليها فضلة من طعام قطّ). [صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٦٩)].

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لم يأكل النبي ﷺ على خِوان حتى مات، ولم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات). وفي رواية: (ولا رأى شاة سَمِيطاً بعينه قطّ). [رواه البخاري].
(الخِوان): بكسر الخاء المعجمة: هو ما يوضع عليه الطعام.

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَلَسْتُم في طعام وشراب ما شِئْتُمْ؟ (لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ ما يملأ بطنه). [رواه مسلم والترمذي].

وفي رواية لمسلم عن النعمان قال: ذكر عمرُ ما أصابَ الناسُ من الدنيا؛ فقال: (لقد رأيت رسول الله ﷺ يَظَلُّ اليوم



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ).

(الدَّقَلُ) بدال مهملة وقاف مفتوحين: هو رديء

التمر.

عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أنها كانت تقول: (والله يا

ابن أختي! إن كنا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ؛

ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ.

قُلْتُ: يَا خَالَةَ! فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسُودَانِ: التمر

والماء، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،

وكَانَتْ لَهُمْ مَنَايِخٌ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِيْنَاهُ). [رواه البخاري ومسلم].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَا كُنَّا نَشْبَعُ مِنْ

التمر فَقَدْ كَذَبَكُمْ؛ فَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُرَيْظَةَ) أَصْبَنَا





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

شيئاً من التمر والودك). [رواه ابن حبان (صحيح الترغيب والترهيب) (٣٢٧٨)].

عن أنس رضي الله عنه قال: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فوجدته جالسا وقد عَصَبَ بطنه بعصاة، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه؟ فقالوا: من الجوع. فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أمِّ سُلَيْمٍ، فقلت: يا أبتاه! قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب بطنه بعصاة؛ فسألت بعض أصحابه؟ فقالوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمِّي فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم، عندي كِسْرٌ من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قلَّ عنهم) فذكر الحديث. [رواه البخاري ومسلم].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا رسول الله! لو اتّخذت فراشا أوثر من هذا، فقال: (ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سافر في يوم صائف، فاستظلّ تحت شجرة ساعة، ثم راح وتركها). [رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي. صحيح الترغيب (٣٢٨٣)].

عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو على حصير، قال: فجلست، فإذا عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقرظ في ناحية في الغرفة، وإذا إهابٌ مُعلّق، فابتدرت عياني، فقال: (ما يُبكيك يا ابن الخطّاب؟). فقال: يا نبيّ الله! وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثّمار





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

والأنهار، وأنت نبِّي الله وصفوته، وهذه خزانتك. قال: (يا ابن الخطاب! أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟).
[قلت: بلى]. [رواه مسلم وابن ماجه].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية، فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما هذا يا عائشة؟!). قالت: قلت: يا رسول الله: فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك، فذهبت فبعثت إليَّ بهذا، فقال: (رُدِّيهِ يا عائشة! فو الله لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة). [رواه البيهقي. صحيح الترغيب (٣٢٨٧)].

عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجتُ لنا عائشة كساءً مُلبِّداً وإزاراً غليظاً فقالت:



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

(قُبْضَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ). [رواه البخاري ومسلم وأبو داود، والترمذي، وغيرهم].

قال الإمام الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: (مُلبِّدًا) أي: مرقعا، وقد لَبَّدْتُ الثوب بالتخفيف، وَلَبَّدْتُهُ بالتشديد، يقال للرقعة التي يرقع بها صدر القميص: (اللَّبْدَةُ)".

عن عمرو بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ما تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً؛ إِلَّا بَغْلَتُهُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابن السبيل صدقة). [رواه البخاري].

عن علي بن رباح قال: سمعت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا، كان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

دهره إلا كان الذي عليه أكثر من الذي له). قال: فقال
بعض أصحاب رسول الله ﷺ: (قد رأينا رسول الله ﷺ
يَسْتَسْلِفُ). [رواه أحمد].

ورواه ابن حبان مختصراً: (كان نبيكم أزهد الناس في
الدنيا، وأصبحتم أرغب الناس فيها). [صحيح الترغيب
(٣٢٩٤)].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (تُوفِّي رسول الله ﷺ وَدِرْعُهُ
مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير لأهله). [رواه
البخاري ومسلم والترمذي].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم
أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: (ما أخرجكما
من بيوتكما هذه الساعة؟). قالوا: الجوع يا رسول الله!
فقال: (وأنا والذي نفسي بيده [ل]أخرجني الذي



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

أخرجكما، قوموا). فقاموا معه، فأتوا رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمّا رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ (فلان؟). قالت: ذهب يَسْتَعِذُّب لنا [من] الماء، إذ جاء الأنصاريّ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافا منّي، فانطلق فجاءهم بِعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتمر ورطب، وقال: كُلُوا [من هذه] وأخذ المديّة، فقال له رسول الله ﷺ: (إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ). فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذْق، وشَرِبُوا، فلمّا أن شبعوا ورَوُّوا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يوم القيامة، [أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ]). [رواه مالك بلاغا باختصار، ومسلم واللفظ له، والترمذي بزيادة. والأنصاري المبهم هو أبو

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



الهيثم بن التَّيَّهَان بفتح المشاة فوق وكسر المشاة تحت وتشديدها.
كذا جاء مصرحاً به في "الموطأ" والترمذي (قاله الإمام
المنذري).





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كيف كان عيش النبي ﷺ وأهل بيته؟

■ تحت هذا العنوان كتب أحد الأفاضل قائلاً:

نستهل هذا الموضوع بما رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار، وكان قوتهم التمر والماء).

نعم هكذا عاش نبينا محمد ﷺ، وبرغم أنه ﷺ كان عنده تسع نسوة لكن كل واحدة كان يمضي عليها الشهر والشهران لا يوقد في بيتها نار، وليس ذلك منه ﷺ تقثيراً على نفسه وأهله، أو أن الإسلام يعاف الطيبات ويسن للناس تركها، كلا وحاشا، فإن الله - تعالى - يقول: ﴿قُلْ





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ.

ولكنه الزهد الحقيقي والرغبة فيما عند الله

تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

والله تعالى قد أتى نبيه ﷺ مفاتيح خزائن الأرض كلها،

فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها.

وكان من دعائه ﷺ: (اللهم اجعل رزق آل محمد

قوتاً). [رواه البخاري ومسلم].

وهذا منه ﷺ زهد في الدنيا وإعراض عنها ورغبة فيما

عند الله تعالى، قال الله - جل شأنه -: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ

الْأُولَى﴾، وقال ﷺ: (مالي وللدنيا، إنما أنا كرجل قال

تحت ظل شجرة - يعني نام في ظلها وقت الظهر - ثم راح

وتركها). [رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما].



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

ويبلغ زهد نبينا ﷺ في هذه الدنيا مبلغا يبين حقارتها عنده وأنها في ذاتها ظل زائل. روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا أحد، فقال: يا أباذر، قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: (ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً، تمضي علي ثلاثة وعندي منه دينار - إلا شيئاً أرصده لدين - إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه). ثم مشى فقال: (إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ما هم).

وقوله ﷺ: (إنّ الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة) أي أنّ أصحاب الأموال الكثيرة هم الأقل حسنات يوم القيامة





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

ولا يستثنى من ذلك إلا من وصفهم النبي ﷺ بقوله من قال بالمال هكذا وهكذا، وهو إشارة إلى إنفاق المال في وجوهه المشروعة وعدم كنزه أو البخل به، ومن قام بهذا الحق فالمال له مستحب وهو له خير.

وفي ظلال هذه المعيشة أظهر نساء النبي ﷺ في بعض الأحيان رغبتهن في تغييرها والخروج عنها، خاصة وأنهن في بيت أعظم رجل في العرب، وتتابع نساء النبي ﷺ في تلك المطالبة، وأكثرن عليه، طالبات المزيد من النفقة ومتطلعات لمتاع الدنيا، فكره ذلك منهن النبي ﷺ، ولما زدن في تلك المطالبة وألحنَ في مسألتهن وشدّذن هجرهن ﷺ، ولم يدخل على واحدة منهن لمدة شهر من الزمان، حتى شاع بين الناس أنّ النبي ﷺ طلق نساءه كلهن. ففزع





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لهذه الإشاعة رعاية لخاطر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابنة كل منهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبا يستأذنان ليدخلا عليه، وليتعرفا على حقيقة الأمر، فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم سأله عمر: أطلقت نساءك يا رسول الله؟ قال: لا، فتنفس عمر الصعداء، لكنه رأى جَوَّ الحزن يخيم على المكان، فقال لأكلمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد - يعني زوجته - سألتني النفقة أنفا فوجأت عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه، وقال: (هن حولي يسألنني النفقة). فقام أبو بكر إلى عائشة يؤدبها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقول: تسألنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فنهى النبي صلى الله عليه وسلم الأبوين أن يصنعا ببنتيهما شيئا، وكانت نساؤه ناديات يقلن: والله لا نسال





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

وبعد مضي شهر من هجرة النبي ﷺ لنسائه، نزلت آيات التخيير من عند الله تخاطبهن جميعاً أن يخترن التجرد للدار الآخرة مع رسول الله ﷺ وأن يرضين بعيشه، وإما أن يلحقن بأهلن حيث الملابس الحسنة والمأكـل الدسمة وغير ذلك من متاع الدنيا وزينتها، وذلكم قول ربنا: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾، فأثرن الله ورسوله والدار الآخرة، وعشن مع النبي ﷺ معينات على الحق راغبات في الثواب، عشن معه للجهاد والتهجد، والبذل والمواساة، والتواضع والخدمة، فأقر الله أعينهن بصحبة نبيه في الجنة



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

كما صحبته في الدنيا.

▪ بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتاب الرقاق من

"صحيحه" فقال: باب كيف كان عيش النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأصحابه وتخليهم عن الدنيا؟ ثم ساق طائفة من

الأحاديث المبينة لذلك ومنها:

ما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (ما شبع آل

محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى

قبض).

ومنها ما روته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان فراش رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أَدَمٍ وحشوه ليف.

وفي ضوء ما تقدم نخلص إلى جملة من الفوائد منها:

▪ بيان ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الزهد في الدنيا والرغبة





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عنها، مع أنها كانت بين يديه، ولكنه رغب في الآخرة إيثاراً لها عن الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾. ويشار هاهنا إلى أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع تلك الحال التي كان عليها من الزهد في الدنيا، ما كان ليضيع حاجات أهله وما يلزمهم لمعاشهم، حاشا وكلا، ويوضح هذا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح الله عليه البلاد وكثرت الغنائم كان يرصد لأهله قوت سنة.

■ بيان خطأ كثير من الناس في تطلبهم الاستكثار من الأطعمة واللباس والمراكب ونحوها، مما يفيض عن حاجتهم ويؤدي بهم إلى الإسراف؛ بل التبذير في كثير من الحالات.

■ والذي ينبغي على مثل هؤلاء أن يصرفوا مال الله





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

الذي آتاهم تصريفاً وإنفاقاً سليماً راشداً، وأن يعلموا أنّ من إخوانهم المسلمين في كثير من بقاع الدنيا من لا يجد ما يقيم أودّه ويدفع عنه شبح المجاعة، علاوة على ما بهم من نوازل مختلفة ومحنة، ولو أنّ المسلمين اليوم وجد بينهم التكافل على النهج الإسلامي لما صار بينهم جائع يتضور ولا محتاجٌ يتكفّف.

نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل رضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عِيش الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وتخلّهم عن الدنيا وزهدهم فيها

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رأيت عمر - وهو يومئذ أمير المؤمنين - وقد رقّع بين كتفيه برقاع ثلاثٍ، لَبَّدَ بعضها على بعض). [رواه مالك صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٩٩)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (والذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشُدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله ما سألته إلا لِيُشَبِّعَنِي، فمرّ فلم يفعل؛ ثم مرّ عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا لِيُشَبِّعَنِي، ثم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

مرّ أبو القاسم عليه السلام فتبسّم حين رآني، وعرف ما في وجهي، وما في نفسي، ثم قال: "يا أبا هريرة!". قلت: لبيك يا رسول الله! قال: "الحق". ومضى فاتّبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن له، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: "من أين هذا اللبن؟". قالوا: أهده لك فلان أو فلانة. قال: "يا أبا هريرة!". قلت: لبيك يا رسول الله! قال: "الحق إلى أهل الصّفة فادعهم لي". قال: وأهل الصّفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصّفة، كنتُ أحقّ أن أُصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤوا أمرني





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ بد، فأتيتهم، فدعوتهم، فأقبلوا، واستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: "يا أبا هريرة!". قلت: لبيك يا رسول الله! قال: "خُذْ فَأَعْطِهِمْ". فأخذت القدح فجعلت أعطيهِ الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يردّ عليّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلّهم، فأخذ القَدَحَ فوضعه على يده فتبسّم، فقال: "يا أبا هريرة!". فقلت: لبيك يا رسول الله! قال: "بقيتُ أنا وأنت". قلت: صدقت يا رسول الله! قال: "أَقْعُدْ فَاشْرَبْ". فشربت، فقال: "اشْرَبْ". فشربت، فما زال يقول: "اشْرَبْ" حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلکا. قال: "فأرني".





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

فأعطيته القدح، فحمد الله -تعالى- وسمى وشرب
الفضلة). [رواه البخاري وأحمد].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: (إنَّ الناس كانوا
يقولون: أكثر أبو هريرة، وإنِّي كنت ألزم رسول الله صلَّى الله
عليه وآله وسلم
لشعب بطني، حين لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، ولا
يخدمني فلان وفلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من
الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي لكي
ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر ابن
أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتَّى إن
كان يُخرج إلينا العُكَّةَ التي ليس فيها شيء فنشقّها، فنلحق
ما فيها). [رواه البخاري].

■ العكة: هي وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

والعسل، وهو بالسمن أخص.

عن محمد بن سيرين قال: "كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَمَخَّطَ فِي أَحَدِهِمَا، ثُمَّ قَالَ: بَخِ بَخِ! يَمْتَخِطُ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الْكَتَّانِ! لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لِأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ مِنَ الْجُوعِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي يَرَى أَنَّ بِي الْجُنُونَ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْجُوعُ". [رواه البخاري، والترمذي وصححه].

(المِشَق) بكسر الميم: المغرة، و(ثوب ممشق): مصبوغ بها.

عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخِصَاصَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصَّفَّةِ، حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ:





١٠٧

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: (لو تَعْلَمُونَ ما لَكُمْ عند الله لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً). [رواه الترمذي، وابن حبان. صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٠٦)].

(الْخَصَاصَةُ) بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين: هي الفاقة والجوع.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الجوع في وجوه أصحابه فقال: (أبشروا؛ فإنه سيأتي عليكم زمان يغدى على أحدكم بالقصة من الثريد، ويراح عليه بمثلها). قالوا: يا رسول الله! نحن يومئذ خير؟ قال: (بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ). [رواه البزار. صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٠٨)].

عن عبد الله بن شقيق قال: أقمتُ مع أبي هريرة رضي الله عنه





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

بالمدينة سنة، فقال لي ذات يوم ونحن عند حجرة عائشة:
لقد رأيتنا وما لنا ثياب إلا البرد المتفتِّقُ، وإنَّه ليأتي على
أحدنا الأيام ما يجد طعاماً يُقيم به صلبه حتَّى إن كان أحدنا
ليأخذ الحجر فيشُدُّ به على أخصِّ بطنه، ثمَّ يشُدُّ بثوبه
ليُقيم صلبه. [رواه أحمد. صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٠٧)].

■ عن سهل بن سعد قال: "كانت فينا امرأة تجعل على
أربعاء في مزرعة لها سِلْقاً، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع
أصول السِّلْق فتجعله في قدر، ثمَّ تجعُّ عليه قبضة من شعير
تطحنها، فتكون أصول السِّلْق عَرَقَةً. - قال سهل: - كنَّا
نصرف من صلاة الجمعة فنسلِّم عليها، فتقرب ذلك
الطعام إلينا فنلعه، فكُنَّا نتمنَّى يوم الجمعة لطعامها ذلك".
وفي رواية: "ليس فيها شحم ولا ودك، فكُنَّا نفرح بيوم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

الجمعة". [رواه البخاري].

■ أربعاء: جمع (ربيع) وهو النهر الصغير

■ عرقه: عَرَقُ الطعام، و(العَرَق): اللحم الذي على

العظم، والمراد أن السَّلَق يقوم مقامه عندهم. "فتح".

■ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا

من تمر، لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة ثمرة،

فقليل له: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نَمُصُّها كما يمَصُّ

الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل،

وكنا نضرب بعَصِينَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبُؤُهُ [بالماء] فنأكله، فذكر

الحديث. [رواه مسلم].

عن محمد بن سيرين قال: "إن كان الرجل من





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

أصحاب النبي ﷺ يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله،
فيأخذ الجلد فيشويها فيأكلها، فإذا لم يجد شيئاً أخذ
حجراً فشدّ صُلبه". [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الجوع).
صحيح الترغيب والترهيب (٣٣١٠)].

عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: "إِنِّي لأَوَّلُ العرب
رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما
لنا طعام إلا وَرَقُ الحَبْلَةِ وهذا السَّمَر، حتّى إن كان أحداً
ليضع كما تضع الشاء، ما له خلط". [رواه البخاري ومسلم].
(الحَبْلَةُ) بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة،
و(السَّمَر) بفتح السين المهملة وضم الميم؛ كلاهما من
شجر البادية.

عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان
رضي الله عنه وكان أميراً بالبصرة-، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

أما بعد؛ فإنّ الدنيا قد آذنتُ بصرم، وولّت حذاء، ولم يبق منها إلا صباة كصباة الإناء يتصائبها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم؛ فإنه قد ذُكر لنا: أنّ الحجر يلقي من شفير جهنّم فيهوي فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، والله لُتملأنّ، أفعجبتكم؟ ولقد ذُكر لنا: أنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين عاما، وليأتينّ عليها يوم وهو كظيظ من الزّحام. ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشّجر، حتى قرّحت أشداقنا، فالتقطت بُردة فشققّتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتّزرت بنصفها، واتّزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منّا أحد إلاّ أصبح أميرا على مَصْرٍ من الأمصار، وإنّي أعوذ بالله أن





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً، "وإنّها لم تكن نبوة قطّ إلاّ تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها مُلكاً، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا". [رواه مسلم وغيره].

(أذنت) بمد الألف، أي: أعلمت.

(بضرم) هو بضم الصاد وإسكان الراء: بانقطاع وفناء.

(حذاء) هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة

ممدوداً: يعني سريعة.

و(الصُّبابة) بضم الصاد: هي البقية اليسيرة من الشيء.

(يتصائبها) بتشديد الموحدة قبل الهاء، أي: يجمعها.

و(الكَظِيظُ) بفتح الكاف وظائين معجمتين: هو الكثير

الممتلئ.

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: "هاجرنا مع رسول



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

الله ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمِنَّا من مات؛ لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مُصعب بن عُمَيْر، قُتل يوم أحد، فلم نجد ما نُكفِّه به إلا بُرْدَةً، إذا غَطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غَطَّينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغَطِّي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر، وَمِنَّا من أَيْنَعَتْ له ثَمَرَتُهُ، فهو يَهْدُبُهَا". [رواه البخاري ومسلم والترمذي، وأبو داود باختصار].

(الْبُرْدَةُ) كساء مخطط من صوف، وهي النَمِرَة.

(أَيْنَعَتْ) بياء مشاة تحت بعد الألف؛ أي: أدركت

ونضجت.

(يَهْدُبُهَا) بضم الدال المهملة وكسرهما بعدها موحدة؛

أي: يقطعها ويجنيها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لقد رأيت سبعين من أهل





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الْصُّفَّةُ ما منهم رجل عليه رداء، إمّا إزاز وإمّا كساء، قد ربطوا في أعناقهم، منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيَجْمَعُهُ بيده كراهية أن ترى عورته". [رواه البخاري].

عن يحيى بن جعدة قال: عاد خبّابا ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله! تَرُدُّ على محمّد ﷺ الحوض، فقال: كيف بهذا وأشار إلى أعلى البيت وأسفله؟ وقد قال رسول الله ﷺ: (إنما يكفي أحدكم كزاد الراكب). [رواه أبو يعلى والطبراني. صحيح الترغيب والترهيب (٣٣١٧)].

عن عامر بن عبد الله: "أنّ سلمان الخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع، فقالوا ما يُجزِعُكَ يا أبا عبد الله! وقد كانت لك سابقة في الخير؟ شهدت مع





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

رسول الله ﷺ مغازي حسنة، وفُتوحا عظاما. قال: يُجْزَعُنِي
أن حبينا ﷺ حين فارقنا عَهْدَ إلينا، قال: (لِيَكْفِي المرء
منكم كزادِ الرَّاكِبِ). فهذا الَّذي أَجْزَعُنِي.

فَجُمِعَ مَالُ سلمان فكان قيمته خمسة عشر درهماً.

[رواه ابن حبان. صحيح الترغيب والترهيب (٣٣١٩)].

▪ وبعد هذه الآثار وغيرها مما ذكره الإمام الحافظ

المنذري رحمه الله في كتابه العظيم (الترغيب والترهيب) ختم
ذلك بقوله: "ولو بسطنا الكلام على سيرة السلف وزهدهم
لكان من ذلك مجلدات، لكنه ليس من شرط كتابنا، وإنما
أملينا هذه النبذة استطرادا وتبركا بذكرهم، ونموذجا من
سيرهم، والله الموفق من أراد، لا رب غيره".





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

مما ورد في الحِكَم والأشعار عن الدنيا

قال الإمام القحطاني رحمهُ الله في نونيته:

أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّيَّةِ زَاهِدًا

فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى زُهْدَانِ

زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الشَّأ

طَوْبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ

قال عبد الله بن عون: "إن من كان قبلنا كانوا يجعلون

للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما
فضل عن دنياكم".

سُئِلَ أَبُو صَفْوَانَ الرَّعِينِيُّ: "ما هي الدنيا التي ذمها الله

في القرآن والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟، فقال: "كل ما



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها".

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: "لو كانت الدنيا ذهب ينفى، والآخرة خزف يبقى، لكان ينبغي أن تؤثر خزفًا يبقى على ذهب ينفى، فكيف والدنيا خزف ينفى والآخرة ذهب يبقى".

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "أهينوا الدنيا، فوالله لأهناً ما تكون إذا أهتموها".

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذات يوم لأصحابه: "ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه..".

قيل لحكيم: "أي خلق الله أصغر؟ قال: الدنيا إذ كانت





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

لا تعدل عند الله جناح بعوضة فقال السائل: من عظم هذا الجناح فهو أحقر منه".

قال الحسن: "إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا عيشاً لا موت فيه".

عن بشير بن كعب أنه كان يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه: "انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء فيقف على مزبلة، فيقول: انظروا إلى عسلهم وإلى سمنهم وإلى بطهم وإلى دجاجهم إلى ما صار".

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

قال أبو العتاهية:

إذا كنت بالدنيا بصيرا فإنما
بلاغك منها مثل زاد المسافر

قال الإمام الشافعي رحمته الله:

إن لله عبداً فظننا
تركوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمما علموا
أنها ليست لحيي وطننا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

قال أبو جعفر محمد الرؤاسي:

ألا يا نفس هل لك في صيام





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

عن الدنيا لعلك تهتدينا

يكون الفطر وقت الموت منها

لعلك عنده تستبشـرينا

أجييني هـديت وأسعفين!

لعلك في الجنان تخلـدنا

ما أحسن ما قال مسلم بن عمرو:

ما أقبح التزهيد من واعظ

يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقا

أضحى وأمسى بيته المسجد

قال المأمون: لو سُئلت الدنيا عن نفسها ما زادت في

وصفها عن وصف أبي نواس حيث يقول:



﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

إذا امتحن الدنيا لليب تكشففت

له عن عدو في ثياب صديق

قال الحسن رحمه الله: "أمس أجل واليوم عمل وغداً

أمل".

وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللهُ:

أرى الأمس قد فاتني رده

ولست على ثقة من غد

قال أبو حازم: "بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمس

فلا يجدون لذته ولا أجد شدته، وأما غد فأني وإياهم منه

على خطر، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون".

أرى الدنيا لمن هي في يديه

عذابا كلما كثرت لديه





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

تهين المكرمين لها بصغر
وتكرم كل من هانت عليه

قال أبو نواس:

وما الناس إلا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا ليب تكشف
له عن عدو في ثياب صديق

روي عن الإمام الشافعي رحمته الله قوله:
محن الزمان كثيرة لا تنقضي
وسرورها يأتيك كالأعياد
■ وقال:

تأتي المكاره حين تأتي جملة





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

ونرى السرور يجيء في الفلتات
سمع حكيم رجلاً يقول لآخر: لا أراك الله مكروهاً.
فقال: دعوت عليه بالموت، من عاش لا بد له من مكروه.
قال أحدهم:

تَبَّا لطالب دنيا لا بقاء لها
كأنَّها في تصريفها حلم
صفاءؤها كدر، سراؤها ضرر
أمانيتها غدر، أنوارها ظلم
شبابها هرم، راحتها سقم
لذاتها ندم، وجدانها عدم
فخل عنها ولا تركزن لزهرتها
فإنَّها نعيم في طيِّها نقم



﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾



واعمل لدار نعم لا نفاذ له

ولا يخاف به موت ولا هرم





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

حكمة عجيبة ومفيدة

روى الحافظ ابن عساكر رحمته الله في تاريخه: "أن أحمد بن عمار الأسدي قال: خرجنا مع أحد المعلمين الصالحين في جنازة ومعه جماعة من أصحابه فرأى في طريقه كلابا مجتمعة بعضها يلعب مع بعض ويتمرغ عليه ويلحسه فالتفت إلى أصحابه فقال: انظروا إلى هذه الكلاب ما أحسن أخلاق بعضها مع بعض، قال ثم عدنا من الجنازة. وقد طُرحت جيفة وتلك الكلاب مجتمعة عليها، وهي تهارش بعضها البعض، ويخطف هذا من هذا، ويعوي عليه، وهي تتقاتل على الجيفة. فالتفت المعلم إلى أصحابه فقال لهم: هل رأيتم يا أصحابي متى لم تكن الدنيا





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

بينكم فأنتم إخوان، ومتى ما وقعت الدنيا بينكم تهاشتم
عليها تهاش الكلاب على الجيفة". [مختصر تاريخ دمشق
لابن عساكر (١ / ٣٧٨)].

ومما قاله الإمام الشافعي **رَحِمَهُ اللهُ** من أبيات في ذلك:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها

وسيق إلينا عذبا وعذبا

فلم أرها إلا غرورا وباطلا

كما لاح في ظهر الفلاة سراها

وما هي إلا جيفة مستحيلة

عليها كلاب همهن اجتذبا

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها

وإن تجتنبها ناهشتك كلابها





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾

فهرس الموضوعات

- ٥ المقدمة
- الترغيب في الزهد في الدنيا والترهيب من حبّها
- ٧ والتكاثر فيها والتنافس
- أزهد الخلق في الدنيا ﷺ يحثّ على الزهد
- ١٣ ويحذّر من الدنيا
- ٢٠ الزهد شرط لتحقيق الإخلاص
- الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق إلا
- ٢١ في عسكر الموتى نادما بين الخاسرين
- من أحبّ غير الله لغير الله عُدّ به في الدنيا قبل
- ٢٧ الآخرة





﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

كل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس

وإما ذاهب إلى الحبس ٣١

قطراتك قد تجتمع فتصبح سيلاً يُغرقك ٣٣

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ٣٤

مختارات من كلام العلامة الإمام الرباني ابن

القيم **رحمته الله** حول هذه السورة ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ٣٥

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ٤٤

خير الرزق الكفاف ٤٩

معنى الزهد في الدنيا ٥٨

متى يستحق العبد اسم الزهد ٦٢

حاجة العباد إلى الزهد ٦٣

كيف يستقيم الزهد في الدنيا؟ ٦٥





﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾

- ٧٠ أقسام الزهد
- ٧٨ الزهد الحقيقي في الدنيا
- عيش النبي ﷺ وأهل بيته وتخليهم عن الدنيا
- ٨٢ وزهدهم فيها
- ٩٣ كيف كان عيش النبي ﷺ وأهل بيته؟
- عيش الصحابة رضي الله عنهم وتخليهم عن الدنيا
- ١٠٢ وزهدهم فيها
- ١١٦ مما ورد في الحِكَم والأشعار عن الدنيا
- ١٢٥ حكمة عجيبة ومفيدة
- ١٢٧ فهرس الموضوعات



صَدَرُ لِلْمُؤَلِّفِ



ISBN 978-9931-616-48-1



9 789931 616481

